

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعا و حكما

إعداد الدكتور

معن خالد القضاة

عضو لجنة الفتوى بالمجمع

ورقة بحث مقدمة للدورة التدريبية السادسة للمجمع والمؤتمر السنوي السادس لاتحاد أئمة
أمريكا الشمالية

فبراير - 2009 م

صفر - 1430 هـ

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمع تنامي مظاهر الصحوة الإسلامية للجالية المقيمة في الولايات المتحدة والله الحمد، يكثر التساؤل عن حكم القروض الطلابية لإتمام الدراسة الجامعية في هذه البلاد.

وسبب السؤال عموماً هو ارتفاع تكاليف الدراسة الجامعية، مع كون هذه القروض-أو بعضها- قروضاً ربوية. ومن جهة أخرى، فإن الحاجة للتعليم الجامعي أمرٌ يتفق عليه العقلاء، خاصة لمن يقيم في بلد يتبوء مركز الصدارة في التقدم العلمي والصناعي كالولايات المتحدة.

وفي ضوء ما سبق، يثار التساؤل عن حكم هذه القروض ابتداءً، وعن حكمها إذا لم يكن هناك بديل آخر وتوقف تخرج الطالب على أخذها، وفي حالة الإفتاء بإباحتها، فهل تباح على إطلاقها حتى لطلبة الدراسات العليا؟ أم يكفي بالدرجة الجامعية الأولى حيث تندفع الحاجة بالحصول عليها؟

كل هذه الأسئلة وغيرها دعت مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا أن يولي عناية خاصة بهذا الموضوع لكونه من النوازل الفقهية، وتعلقه بمئات الآلاف من المسلمين المقيمين خارج ديار الإسلام.

وتأتي هذه الورقة كمحاولة متواضعة لتسليط الضوء على واقع هذه القروض في الولايات المتحدة وبيان حكم الشرع فيها.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. معن خالد القضاة

هيوستن- الولايات المتحدة الأمريكية

2009/02/3م

المبحث الأول : إحصاءات وبيانات لتصور النازلة

أولاً : إحصاءات عامة

تباينت الإحصاءات حول عدد المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة¹ ، وهي تقديرات أكثر من كونها إحصاءات من جهات رسمية، وتشير غالبيتها أن العدد يتراوح بين 6 إلى 7 مليون نسمة، يتزايدون بنسبة (6%) سنوياً، وسيصلون- إن شاء الله- إلى 16 مليون نسمة بحلول عام 2014م. من العدد الإجمالي للمسلمين : (65%) أعمارهم دون الأربعين، و(1½) مليون نسمة على الأقل أعمارهم فوق الثامنة عشرة.

من المسلمين في الولايات المتحدة (50%) تلقوا تعليماً جامعياً²، و تذكر مصادر أخرى أن الجامعيين من المسلمين بلغت نسبتهم (67%). ولم تذكر هذه المصادر ما إذا كان هؤلاء قد تلقوا تعليمهم داخل الولايات المتحدة أم خارجها.

والأرقام السابقة -على بساطتها- تشير إلى أن الشريحة المسلمة المعنية بموضوع القروض الدراسية يصل إلى مليون نسمة على الأقل، وهي ثلثي النسبة التي تزيد أعمار الناس فيها عن الثامنة عشرة.

وإذا أدخلنا في هذه الشريحة كل الذين تقل أعمارهم عن الأربعين (لاحتمال رغبتهم في مواصلة تعليمهم والحصول على شهاداتٍ عليا) فإن العدد يصل إلى 4000,000 على الأقل! وبنفس طريقة الحساب، سيصل عدد المعنيين بالتعليم الجامعي من المسلمين إلى أكثر من 10,000,000 في عام 2014 م ! وإذا أضفنا لذلك كله عدد المسلمين المقيمين خارج العالم الإسلامي لوصل العدد إلى عشرات الملايين!

1 انظر بعض المقالات على شبكة الإنترنت، مثلاً:

<http://www.allied-media.com/AM/index.html>
www.adherents.com/largecom_islam_usa.html
www.islaminformationcenter.org/interfaithcenter

2 استخلصت هذه الأرقام من بحث بعنوان:

Muslim Americans, Middle class and mostly mainstream
وقد تم نشر هذا البحث بتاريخ 2007/05/22 م ، وهو من إعداد مؤسسة (Pew Research Center)

ويمكن الحصول على نسخة من البحث باللغة الإنجليزية وملخص باللغة العربية علي الرابط التالي:

<http://powersearch.org/pubs/483/muslim-americans>

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

كل ما سبق يكفي للاستدلال على أن أمر التعليم الجامعي يهيم قطاعاً عريضاً وأعداداً ضخمة من المسلمين، وليس أمراً نادراً أو حالة فردية تحتاج إلى فتوى خاصة بها.

ثانياً: الإقبال على الاقتراض

أما عن إقبال طلاب الجامعات والكليات في الولايات المتحدة عموماً على الاقتراض، فالأرقام التالية¹ تعطي تصوراً واضحاً عن مدى رغبتهم في الحصول على الدعم الخارجي لإكمال دراستهم:

- 1- في عام 2004م : (62,4%) من الخريجين من الجامعات الحكومية حصلوا على قروض دراسية.
- 2- خلال العقد الماضي وصل متوسط الدين على الخريجين (\$19200) أي بزيادة قدرها (108%) عن العقد الذي قبله ، حيث لم يتجاوز متوسط الدين على الخريج (\$9250)
- 3- حتى أولياء أمور الطلاب قاموا بالاقتراض أيضاً لصالح تعليم أولادهم، فقد اقترض (15,3%) من أولياء الأمور من برنامج الاقتراض الفيدرالي في عام 2004م ، وكان متوسط الاقتراض للعائلة (\$17709)
- 4- أكثر من (75%) من طلاب الجامعات للمرحلة الدراسية الأولى بدأوا العام الدراسي 2004م وهم يحملون بطاقات ائتمان
- 5- مع أن القروض الدراسية الخاصة (غير الحكومية) ذات أسعار فائدة مرتفعة، ولا يلجأ لها الطلاب إلا عند عدم القدرة على الحصول على قروض دراسية حكومية، إلا أن هذه القروض الخاصة وصلت في العام الدراسي (2005م-2006م) إلى (25%) من إجمالي القروض الطلابية في الولايات المتحدة!!²
- 6- تظهر دراسة المركز الوطني لإحصاءات التعليم³ أن القروض الطلابية لم تعط للطلبة المتفرغين فقط ، بل إن (48%) من الطلاب الموظفين حصلوا على قروض دراسية للعام الدراسي (1999م-2000م) وكان متوسط الاقتراض للطالب الواحد (\$3000) ، و (40%) من الطلاب الموظفين حصلوا على منح دراسية بمعدل (\$1500) للطالب.

1 مقال بعنوان (حقائق سريعة عن القروض الطلابية) على الرابط التالي:

http://projectonstudentdebt.org/files/file/dept-facts-and_sources.pdf

2 احصاءات المركز الوطني لاحصاءات التعليم علي الرابط التالي:

www.campusgrotto.com/student-debt-in-america.html

3 المرجع السابق

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

7- و لذلك قامت الشركات بتقديم مساعدات مالية لغايات الدراسة لموظفيها، فقد أظهرت الدراسة السابقة أن (78%) من الشركات الأمريكية الكبرى قدمت مساعدات مالية للموظفين في عام (2005م).

تظهر الأرقام السابقة حقيقة هامة، وهي أن غالبية الطلاب لا يعتمدون على التمويل الذاتي لإتمام الدراسة الجامعية ، وأنهم يلجئون للمصادر الأخرى للتمويل - ومن بينها الاقتراض- لتغطية نفقات دراستهم.

ثالثاً: تكاليف الدراسة

ويجدر بالذكر أيضاً بعض الأرقام التي توضح تكاليف الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة : تتباين الرسوم الدراسية في الولايات المتحدة تبايناً كبيراً نظراً لاختلاف المستوى الأكاديمي للجامعات، كما تختلف التكلفة الإجمالية للعام الدراسي للطلاب باختلاف مستوى معيشته والولاية التي يسكنها.

فبينما تصل الرسوم الدراسية (وليست التكلفة الإجمالية) للعام الدراسي 2008م لكلية (Bates Collage) إلى \$43950 وهو أعلى رقم سجلته الاحصاءات¹، لا تتجاوز هذه الرسوم \$7706 في جامعة هيوستن² لنفس العام.

وبحسب الدراسة التي أجرتها جامعة هيوستن، فإن التكلفة الإجمالية للطلاب تبلغ حوالي \$23242 ، وهي مقسمة على النحو التالي:

رسوم الدراسة \$7706

السكن والطعام \$8964

كتب ولوازم دراسية \$1100

مواصلات \$2448

مصروفات متفرقة \$3024

المجموع \$23242

فعلى افتراض أن الطالب يعامل معاملة المقيمين في ولاية تكساس وليس قادماً من ولاية أخرى أو طالباً أجنبياً وافداً من خارج الولايات المتحدة ، فإن متوسط ما يدفعه الطالب شهرياً هو \$2000 على أقل تقدير على اعتبار أن العام الدراسي تسعة أشهر.

1 المرجع السابق: www.campusgrotto.com مقال بعنوان Top 100 Colleges by highest tuition.

2 مطبوعات جامعة هيوستن: نشرة تعريفية بعنوان Sch

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

وسبب الافتراض السابق أن الطلاب القادمين من ولايات أخرى يدفعون رسوماً دراسية أعلى من قاطني الولاية ، وتزداد الرسوم تضخماً للقادمين من خارج الولايات ، حيث تصل إلى الضعف أو يزيد.

كل هذا، مع ملاحظة أن الرسوم الدراسية تزداد بشكل مطرد أكثر من الازدياد الطبيعي للأسعار وارتفاع تكاليف المعيشة ، فالإحصاءات تشير إلى أن الرسوم الدراسية في الجامعات الحكومية قد ازدادت بنسبة (40%) ازدياداً حقيقياً في السنوات الخمس الأخيرة ، أو أنها ازدادت بنسبة (57%) عند مراعاة التضخم المالي وفقدان النقود لقوتها الشرائية¹ وهذا الارتفاع المهول في أسعار الرسوم الدراسية - إضافةً إلى أسبابٍ أخرى بالطبع- هو الذي أدى إلى حرمان (48%) من الطلاب المؤهلين لدخول الجامعات التي تعطي الدرجة الجامعية الأولى ، وحرمان (22%) من دخول الكليات المتوسطة² وما دام الأمر كذلك ، والدراسة الجامعية باهضة التكاليف ، والطلاب -أو معظمهم- يلجئون للمساعدات المالية ، فلا بد من الحديث عن المصادر المتاحة لتمويل الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة.

المبحث الثاني: مصادر تمويل الدراسة الجامعية

سيتم تناول (جامعة هيوستن) كعينة للدراسة في هذا المبحث ، مع ملاحظة أن مصادر تمويل الدراسة في الجامعات الأمريكية متشابهة إلى حد كبير- إن لم تكن متماثلة - خاصة إذا كان مصدر التمويل تديره الولاية أو الحكومة الفيدرالية، ولذلك فإن إجراء دراسة على جامعة واحدة يكفي لأخذ صورة واضحة عما عليه الوضع في بقية الجامعات.

وبحسب مصادر جامعة هيوستن³ فإن هذه المصادر كما يلي:

1 المرجع السابق <http://projectonstudentdebt.org>

2 نفس المرجع

3 المرجع السابق: Scholarships and Financial aid Guide 2008-2009

المطلب الأول: البعثات الدراسية

تتنوع البعثات الدراسية في الجامعة لتشمل ما يلي:

أولاً: البعثات الدراسية التي تمولها الجامعة

ويشترط لأهلية الحصول عليها أن يتخرج الطالب من مدرسة ثانوية تعترف بها الجامعة ، وأن ينتظم في الجامعة بعد تخرجه من الثانوية بدون انقطاع ، وأن يكون مواطناً أمريكياً، أو مقيماً إقامة دائمة ، أو- على الأقل- أن يقيم إقامة قانونية مؤقتة .

وإضافة لما سبق، يشترط أن لا يقل العبء الدراسي عن اثنتي عشرة ساعة معتمدة، وأن يكون المعدل التراكمي للطالب 3 من 4 على الأقل، كما يشترط أن يخلو ملف الطالب من المخالفات والجناح والجرائم. فإن انطبقت هذه المواصفات والشروط ، فإن الطالب يستحق البعثة الدراسية لمدة أقصاها أربع سنوات، وإذا كان التخصص يستدعي خمس سنوات دراسية، فإن الطالب يحصل على هذه البعثة لخمس سنوات.

وهناك بعثات أخرى تقدمها الكليات التابعة للجامعة بتمويل خاص من الكلية نفسها وليس من إدارة الجامعة، ويشترط فيها عموماً ما يشترط في البعثات التي تمولها الجامعة، حيث يؤخذ بعين الاعتبار المعدل التراكمي للطالب في الثانوية العامة، ويخضع لاختبار قدراتٍ علميةٍ عامة ، ويتم اختيار الطلاب الأعلى درجة لهذه البعثات.

وما سبق قوله يشمل الطلاب المقبولين في جامعة هيوستن والطلاب المحولين من الجامعات الأخرى أيضاً.

ثانياً: البعثات الدراسية للقادمين من الولايات الأخرى

إذا كان الطالب مقيماً خارج ولاية تكساس وحصل على بعثة تنافسية من الكلية التي يدرس فيها في جامعة هيوستن بما لا يقل عن مبلغ \$1000 سنوياً بناءً على تفوقه الأكاديمي، فإنه يكون مؤهلاً لبعثة أخرى تعفيه من دفع الرسوم الباهضة التي يدفعها القادمون من ولايات أخرى، ويطلب منه دفع ما يدفعه طلاب ولاية تكساس فقط، وهذا يوفر على الطالب آلاف الدولارات عبر سنوات الدراسة الأربع.

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

المطلب الثاني: المنح الدراسية

تختلف المنح عن البعثات في أن المنح تقدم بناءً على الوضع المادي للطالب فتعطى للطلاب المحتاجين فقط ، بينما تعتمد البعثات على التحصيل والتفوق العلمي للطالب. وفي جامعة هيوستن، هناك العديد من المنح الدراسية، منها ما تموله الحكومة الفيدرالية، ومنها الخاصة بولاية تكساس، وبعضها يمول عن طريق الأفراد والمؤسسات الخاصة. وهذه المنح الدراسية كما يلي:

أولاً: منحة (Pell Grants) الفيدرالية

وتقدم لطلاب الدرجة الجامعية الأولى فقط وليس لطلاب الدراسات العليا. ولا يشترط أن يكون المستفيد أمريكي الجنسية! وإنما يكفي الإقامة القانونية ، وتبدأ هذه المنحة بـ \$400 سنوياً ويتغير الحد الأقصى في كل عام.

ثانياً: منحة (FSEOG) الفيدرالية

وشروطها كسابقتها، وتبدأ من \$100 وتنتهي بـ \$4000 سنوياً بناءً على الدخل السنوي لعائلة الطالب، وعلى سياسة جامعة هيوستن في تقديم المنح أيضاً.

ثالثاً: منحة (LEAP) المحلية

وهي خاصة بولاية تكساس، ويشترط للمتقدم لها أن يكون أمريكي الجنسية ، وأن لا يقل عبئه الدراسي عن اثنتي عشرة ساعة للفصل الواحد، وتقدم هذه المنحة للمتقدمين لها أولاً ، إضافةً إلى اشتراط الحاجة المادية.

رابعاً: منحة جامعة هيوستن

وتتراوح من \$400 إلى \$2200 سنوياً تقدم لطلاب البكالوريوس، ولم يذكر المصدر مدى اشتراط الجنسية الأمريكية للتمتع بهذه المنحة.

خامساً: منحة جامعة هيوستن لطلاب الدراسات العليا

وهي كسابقتها ، ولكن الحد الأعلى يصل إلى \$2000 سنوياً.

سادساً: منحة (ACG) و (SMART) الفيدراليتين

إضافةً لاشتراط الجنسية الأمريكية، يشترط للمستفيد أن يكون مقبولاً في برنامج منحة (Pell Grants) سالف الذكر، وأن يتفرغ للدراسة ، وأن لا يقل تحصيله ودرجاته عن حد معين. سابعاً: منحة جامعة هيوستن الإضافية

تعطى للطلاب المتفرغين والمحتاجين في نفس الوقت، وبعده أقصى قدره \$500 للعام الدراسي.

ثامناً: منحة (TPEG) المحلية

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

تمولها وتشرف عليها ولاية تكساس، ويحق لكل الطلاب التقدم لها بلا استثناء، سواءً طلاب البكالوريوس أو الدراسات العليا، وسواءً مواطني تكساس أو الولايات الأخرى، ويقوم الطلاب المقبولون في هذه المنحة باستلام مبالغ نقدية.

تاسعاً: منحة (Texas) المحلية

وهي كسابقتها، إلا أن الفرق أن منحة (Texas) تتخصص في دفع الرسوم الدراسية نيابة عن الطالب بدلاً من إعطائه أموالاً نقدية.

عاشراً: منحة (Robert C. Byrd) الفيدرالية

تمولها الحكومة الفيدرالية وتديرها الولاية ، وهي خاصة بالطلبة المتفوقين في الثانوية العامة والذين لم يواصلوا دراستهم الجامعية مباشرةً ، ويشترط لأهلية الحصول على هذه المنحة أن يتفرغ الطالب للدراسة وأن يحافظ على معدل تراكمي لا يقل عن 2 من 4 .
وإضافة إلى كل ما سبق، فإن نسبة ضئيلة من الطلاب القادمين من خارج الولايات المتحدة يحصلون على منح دراسية ومساعدات مالية، فاحصاءات مركز التعليم العالمي¹ (IIE) تشير إلى أن 7% من الطلاب الوافدين يحصلون على مساعدات مالية من كلياتهم، و 5% من منظمات غير حكومية.

المطلب الثالث: برنامج العمل الفيدرالي

يقدم هذا البرنامج فرصة التوظيف لعمل جزئي ، إما داخل الجامعة أو خارجها، وعادةً ما يتعلق هذا العمل بالدراسة الجامعية بشكل او باخر، ويستطيع الطالب من خلاله أن يحصل على بعض المال لتغطية نفقاته الدراسية ، وأن يكتسب خبرة تفيده لعمله المستقبلي بعد التخرج، ولا يسمح للطلاب بالعمل أكثر من 20 ساعة أسبوعياً، ويتقاضى عن الساعة أجره تساوي أو تزيد عن الحد الأدنى للأجور التي تحدده الحكومة الفيدرالية.

المطلب الرابع: برنامج المساعدات الصيفية

يستفيد من هذا البرنامج الطلاب الذين استحقوا مساعدات مالية قبل فصل الصيف ولم يستخدموها، على أن يسجلوا نصف العبء الدراسي على الأقل.

المطلب الخامس: برنامج مساعدات المهاجرين غير القانونيين!

www.edupass.org/finaid/sources.phtml 1

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

يستحق بعض الطلاب المهاجرين بطريقة غير قانونية إلى الولايات المتحدة مساعدات مالية إذا تحققت بهم شروط معينة ، منها فترة إقامة معينة داخل ولاية تكساس بدون انقطاع، وعدم الحصول على رقم تسجيل الوافدين القانونيين. وقد قامت الولاية بسنّ هذا القانون عام 2001م لتجيز لكل من تنطبق عليه المواصفات أن يستفيد من المنح الدراسية التي تقدمها حكومة الولاية فقط، وليس منح الحكومة الفيدرالية.

المطلب السادس: القروض الدراسية

تتنوع القروض الدراسية التي توفرها جامعة هيوستن لتصل إلى 9 أنواع مختلفة من حيث مقدار المبلغ المقدم والمدة الزمنية والجهة الممولة ومدى كونها قروضاً ربوية. وهي بهذا التنوع لا تختلف عن بقية الجامعات الأخرى، ولذلك فإن معرفة تفاصيل هذه القروض يكفي لأخذ فكرة واضحة عن القروض الدراسية في الولايات المتحدة كلها. وفي بحث كهذا، فإن مدة القرض الزمنية ومقدار الربا فيه وغير ذلك من التفاصيل لا تعنينا بالتقدير الذي يعنينا مدى اعتبار القرض قرصاً ربوياً، ومدى كفايته لسدّ حاجة الطالب. والقروض الدراسية في أمريكا- بناءً على المعيار السابق- تنقسم إلى قسمين رئيسيين¹ :

أولاً:

قروض² تقوم الحكومة الفيدرالية بدعمها عن طريق دفع فوائدها الربوية ، ويأخذها الطالب بناءً على حاجته المادية وعدم قدرته على الوفاء بالتزاماته للجامعة ، ويعضى من سداد أصل الدين ما دام على مقاعد الدراسة محافظاً على أخذ الحد الأدنى من الساعات المعتمدة، ويأخذ فترة سماح قدرها 6 أشهر، يلتزم خلالها بدفع المبلغ كاملاً، وإذا أخفق في ذلك فإن القرض يعتبر ربوياً من تاريخ إعطائه ، ويتحمل الطالب الفوائد والمصاريف المترتبة عليه.

1 إضافة لنشرة جامعة هيوستن سالفة الذكر أنظر أيضاً

www.cs4s.edu/sfsc-ymm/03_student_loans/sub_and_unsub.html

ثانياً:

القروض غير المدعومة حكومياً، وهي قروض تقدم لمن يرغب من الطلاب ، ولا يشترط فيها الحاجة المادية وقلة الدخل ، ويلتزم الطالب بدفع الدين وفوائده بالكامل ، ويعفي من الدفع قبل التخرج .
أما عن مدى كفاية هذه القروض، فإن نشرة جامعة هيوستن قد أفادت ما يلي:

أولاً: طالب البكالوريوس المعتمد على والديه في النفقة يستطيع أن يقترض من النوع الرئيسي للقروض والمسمى (Federal Stafford Loan) مبلغ 23,000 ^{دولار} كحد أقصى قرضاً مدعوماً من الدولة، و8,000 ^{دولار} قرضاً بدون دعم.

ثانياً: طالب البكالوريوس غير المعتمد على والديه في النفقة يستطيع أن يقترض من النوع السابق مبلغ 23,000 ^{دولار} كحد أقصى قرضاً مدعوماً من الدولة، و34,000 ^{دولار} قرضاً بدون دعم، فيصبح المجموع 57,000 ^{دولار}.

ثالثاً: الطالب الموظف وطالب الدراسات العليا يستطيع اقتراض ما مجموعه 138,000 ^{دولار}، منها 65,000 ^{دولار} قرضاً مدعوماً.

رابعاً: طلاب الدراسات العليا وأولياء أمور الطلاب في المرحلة الجامعية الأولى يستطيعون الحصول على قرض فيدرالي اخر اسمه (Federal PLUS

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعتها و حكمها

(Loan) ، ويتكفل هذا القرض بتغطية ما عجز القرض السابق عن سداده، لكنه ليس مدعوماً حكومياً وفوائده عالية تصل إلى 9٪.

يظهر من الأرقام السابقة قدرة القروض المدعومة حكومياً على تغطية نسبة كبيرة من الرسوم الجامعية. فإذا كان مجموع الرسوم الدراسية لطلاب المرحلة الجامعية الأولى في جامعة هيوستن حوالي 30,000 ^{دولار} والقرض المدعوم 23,000 ^{دولار}، فإن هذا القرض يغطي 75٪ من الرسوم. ويزداد الأمر سهولةً في القروض غير المدعومة ، حيث تتكفل برسوم الدراسة كاملةً كما سبق بيانه.

المبحث الثالث: حكم القروض الدراسية

بيان حكم الشرع في هذه القروض هو مقصود البحث. ولكن قبل ذلك لابد من تصور واضح لواقع هذه القروض ومدى الحاجة إليها في ضوء النتائج التي أظهرها البحث، وفي ضوء بعض الحقائق - أيضاً - عن مسلمي الولايات المتحدة، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وسيكون ذلك التصور على شكل مقدمات كما يلي:

المقدمة الأولى: التعليم الجامعي أمرٌ يهَمُّ مئات الآلاف من المسلمين في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، ويحتاجه من يقيم في هذه البلاد حاجةً ماسة. ولذلك فهو حاجةٌ عامةٌ²⁰ بالمفهوم الفقهي على أقل تقدير.

المقدمة الثانية: الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة باهضة التكاليف، وترتفع الرسوم الدراسية بدرجة أعلى من درجة ارتفاع الأسعار الأخرى. وارتفاع أسعار التعليم الجامعي كان سبباً في إجماع 50% من خريجي الثانوية العامة المؤهلين من دخول الجامعات على مستوى الولايات. بل إن 20% من خريجي الثانوية العامة لم يلتحقوا بالكليات المتوسطة مع انخفاض تكلفتها مقارنةً بالجامعات.

المقدمة الثالثة: : تتنوع مصادر تمويل الدراسة (غير الاقتراض) تنوعاً كبيراً يجعلها منافسةً للاقتراض لمن يُحسن استغلالها.

فالبعثات الدراسية ليست حكرًا على المواطنين الأمريكيين، ويكفي لأهلية الحصول عليها الإقامة القانونية، وتعطى بناءً على التفوق العلمي والتميز الأكاديمي. والمنح الدراسية المقدمة للطلاب بناءً على حاجتهم المادية يشمل بعضها المواطنين والمقيمين والوافدين من الخارج، بل و بعضها يصرف للمهاجرين غير القانونيين، والمبالغ المُقدّمة تكفي لتغطية أكثر من 50% من الرسوم الدراسية. وبرنامج العمل من خلال الجامعة يعتبر بديلاً ثانوياً لتمويل الدراسة، حيث يحصل الطالب العامل على بعض المال.

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

المقدمة الرابعة: يقوم أكثر من 60% من الطلاب الجامعيين في الولايات المتحدة بالاقتراض، ولا يقف الأمر على الطلاب المتفرغين للدراسة فقط، بل إن 50% من الطلاب الموظفين يقترضون أيضاً.

لكنّ الاقتراض في الولايات المتحدة عموماً ليس مقترناً بالحاجة دائماً بمفهومها الفقهيّ، لأن التمويل عن طريق الاقتراض والسداد بالتقسيط طويل الأمد أصبح جزءاً من ثقافة الشعب الأمريكي – والمسلمون جزءٌ منه- ونمط معيشةٍ يلجأ له المحتاج وغير المحتاج، وهو أحد إفرازات النظام الرأسمالي القائم على أساس الربا والاقتراض.

وأكثر من ذلك، فإن الحصول على المنح الدراسية (والتي تعطى للمحتاجين فقط) لا يدل أيضاً على الحاجة بالمفهوم الشرعي، لأن النزول عن حد الفقر الذي تحدده الحكومة الفيدرالية سنوياً ليس ملازماً للفقر وإباحة المسألة أو الأخذ من أموال الزكاة بالضرورة.

وسبب اخر لعدم التلازم بين النزول عن خط الفقر وبين الحاجة هو أن من الناس من لا يسجّل كل الدخل الذي يحصل عليه سنوياً عندما يعبيء ورقة الإقرار الضريبي، فيظهر كأنه محتاجٌ قليل الدخل، مع أن الواقع خلاف ذلك. والحكومة إنما تعتمد في تحديد المحتاجين على المعلومات الواردة في أوراق ضريبة الدخل التي يملؤها الناس أنفسهم.

بعد هذه المقدمات، يأتي بيان حكم القروض:

أولاً: النص على أن الحكومة تقوم بدفع الفوائد الربوية عن الطالب إذا أخذ قرضاً مدعوماً (Subsidized Loan) لا يجعل هذا القرض ربوياً ابتداءً، لأن الذي يأخذ الربا هي الحكومة، والذي يدفعه هو الحكومة أيضاً. فإذا سلمنا أن الطالب يتعامل مع مقرضٍ واحد له شخصية اعتبارية قانونية وهي الحكومة الفيدرالية، فإن النص على هذه الفوائد كعدمه، وإنما تفعله الحكومة انسجاماً مع الأنظمة الاقتصادية الرأسمالية، والتي يقترن ذكر القرض فيها بالربا.

ثانياً: إلا أن الربا يشوب هذا القرض من وجه آخر، وهو وجوب دفع فائدةٍ ربويةٍ إذا أخفق الطالب في سداد الدين كله قبل نهاية الأشهر الستة بعد التخرج، وهذا الشرط يجعل القرض قرضاً ربوياً، لكن عقد الدين – والحالة هذه- ليس محرماً لذاته تحريم مقاصد، لاحتمال أن يتمكن الطالب من سداد الدين خلال هذه الأشهر الستة. فالحرمة في هذا العقد حرمة وسائل، والعقد محرم لغيره لا لذاته.

القروض الطلابية في الولايات المتحدة الأمريكية واقعها و حكمها

ثالثاً: (الحرام لذاته تبيحه الضرورة ، والحرام لغيره تبيحه الحاجة أو المصلحة الراجحة)¹ . وبناءً على هذه القاعدة، وكون التعليم حاجةً كما سلف، يجوز للطالب المسلم أن يأخذ قرضاً مدعوماً حكومياً إذا غلب على ظنه إمكانية السداد في الوقت المحدد، وإذا دعت لذلك حاجة شرعية حقيقية ، كأن لم يستطع الاعتماد على نفسه أو والديه في تغطية نفقاته، ولم يحصل على بعثة دراسية، ولم يتمكن من أخذ ما يكفي من المنح، ولم تكف الأموال التي يأخذها عن طريق العمل مع الجامعة، فيباح له حينئذٍ أن يقترض قدر كفايته فقط ، لأن الحاجة تقدر بقدرها كالضرورة.

رابعاً: أما القرض غير المدعوم (Unsubsidized loan) فالحرمة فيه ظاهرة لاشتراط الربا فيه ، وهو من الحرام لذاته الذي لا تبيحه إلا الضرورة، فلا يجوز للطالب المسلم اللجوء إليه، لأن التعليم الجامعي لا يُعد من الضرورات على ما عليه جمهور المعاصرين من أهل العلم.

خامساً: من النقاط ما يحتاج إلى مزيد بحث، وسيتم ذلك -إن شاء الله- في المؤتمر السنوي القادم للمجمع، وهذه النقاط هي:

- 1- مدى صحة اعتبار التعليم الجامعي ضرورة تبيح الحرام لذاته استناداً إلى حديث الترخيص في العرايا.
- 2- جواز الاستناد إلى قاعدة (الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة في إباحة المحظور) لإجازة القروض غير المدعومة على اعتبار أن التعليم حاجة عامة.
- 3- التمييز بين حكم البدء بالدراسة الجامعية بقروض ربوية، وبين البدء بغير اقتراض، وتوقف التخرج على أخذ قرض ربوي. ومدى صحة تطبيق قاعدة (يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء) في هذه الحالة.
- 4- هل كلُّ من الإقراض و الاقتراض بالربا مُحَرَّم لذاته تحريم مقاصد؟ أم أن الإقراض مُحَرَّم لذاته و الاقتراض مُحَرَّم لغيره؟
- 5- إذا جاز الاقتراض الربوي، فهل يرخص فيه للمراحل الجامعية كلها، أم يقتصر على المرحلة الأولى حيث تندفع بها الحاجة؟

وبعد

فهذا ما يسرَّ الله جمعه حول القروض الدراسية، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

¹ الفروق للقراني. الفرق (58)، طبعة دار السلام عام 2008م